أَلتَّحوُّلُ في أُسْلُوبَيْ المُشَاكَلَةِ وَالأُسْلُوبِ الْحَكِيمِ في القُرْآنِ الكَرِيمِ

د. حيدر هادي أحمد

الجامعة المستنصرية - كلية التربية

فحوى البحث

مصطلح (المشاكلة) يعني: ذكر شيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته، تحقيقاً أو تقديراً.

تقوم هذه الدراسة بالكشف عن السِّمات التي تبرز أسلوبَيْ (المشاكلة) و (الاسلوب الحكيم) وتميِّزها بالاستعانة بالتحوُّل لتعديل مقصد السائل الى مقصد آخر هو الأوْلى.

والذي رشّح هذا البحث للدارسة، هو الانطباع الذي يتركه هذان الأسلوبان على المتلقي. فان دَوْر (السياق) في التأثير، يأتي من تطابق الدلالات (المفردات) مع الواقع الذي قد يعني حضور المخاطب والعناية به وإيجاد صلة بينه وبين ما يكتنف هذا السياق من تحوُّلات على مستوى المفردة أو صياغة الجملة.

المقدمة:

تقوم هذه الدراسة بالكشف عن السمات التي تبرز أسلوبي المشاكلة والأسلوب الحكيم وتميزهما بالاستعانة بالتحول لتعديل مقصد السائل إلى مقصد آخر هو الأولى.

فالإنطباع الذي يتركه هذان الأسلوبان على المتلقي هو الذي رشح هذا البحث للدراسة، فإن دور السياق في التأثير يأتي من تطابق الدوال (المفردات) مع الواقع، وهذا الواقع قد يعني حضور المخاطَب والعناية به، وإيجاد صلة وعلاقة بينه وبين ما يكتنف هذا السياق من تحولات على مستوى المفردة أو الصياغة.

ولا سيما أن المتلقي يعيش في أجواء الموضوع المعني بالذكر، فتأتي هذه التحولات لتشده أكثر نحوه، لا لأجل التأثير فقط؛ بل لنكتة دلالية أو استحضار أمر قد غاب عن ذهنه، أو لأهميته لا على ما يسأل عنه، أو يريد بيانه.

و تتبين إفادة المتلقي من الفهم والإفهام، بمخاطبته بلغة أنيقة تشعره بالمتعة والجمال وبما يتوالى على مسامعه من أساليب بديعية.

فأسلوب المشاكلة والأسلوب الحكيم معنيان بهذه المهمة، إذ هما من المحسنات المعنوية لعلم البديع، والأخير هو الذي يُعنى بتزيين النص، بعد صحة المبنى ووضوحه.

فالتحول والتحويل علاقة بين مبنيين أو أكثر، (من وإلى)، وهنا يبرز لنا التحويل النصي (البنية السطحية)، والتحويل المعنوي (البنية العميقة)[1]، على ما سيتناوله هذا البحث في قسميه:

القسم الأول:

التحول في أسلوب المشاكلة:

المشاكلة لغة: من «المُشَاكِل من الأمور: ما وافقَ فاعِلَه ونظيرَه»[2]، إذا المشاكلة هي الموافقة.

وفي الاصطلاح: «هي ذكر الشيء بلفظ غيره، لوقوعه في صحبته تحقيقًا أو تقديرًا»[3]. فنحن هنا أمام لفظين، لإيراد الأول سوغ السياق مجيء الآخر ولو لم

(١) ينظر: معجم المصطلحات الأدبية ٧٩.
(٢) ينظر: لسان العرب مادة (شكل).
(٣) ينظر: مفتاح العلوم ٤٢٤، و الإيضاح ١٩٨.

توجد علاقة بين مدلوليهما، ولكن يفهم من السياق.

فالتحقيق ورود اللفظ الآخر من جذر اللفظ الأول؛ كقول الشاعر:

قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه

قلت اطبخوا لي جبة وقميصا(٤)

فالفعل (اطبخوا) في العجز هومن جذر الاسم (طبخ) في الصدر، إذ جاء مماثلا ومشاكلا له، ولكن دلالة لفظ (اطبخوا) في بنية السطح هي غير ما في بنية العمق وهذا هو التحول في دلالة اللفظ الآخر (اطبخوا) من الدلالة المعجمية- على ما وضع له في أصل اللغة -إلى دلالة أخرى يدل عليها المقام والحال، فهذا المحتاج إلى ما يستره ويقيه الحر والبرد عرض عليه -ولو على سبيل التكلف -أن يطبخوا له ما يستطيعون طبخه من الطعام، فأجابهم: (اطبخوا) أي: خيطوا لي جبة وقميصا. وهنا نلاحظ: أن المسوغ لورود لفظ (اطبخوا) لوقوعه بصحبة طبخ الطعام على ما في صدر البيت الشعري.

ومنه -أي التحقيقي -قوله تعالى ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[سورة البقرة: ١٤-١٥] فالإستهزاء الأول حقيقي، أما الآخر فهو يمثل بنية التحول من لفظ الجزاء والعقاب إلى لفظ مماثل ومشاكل للأول (يستهزئ) وليس من صفات الله- تعالى عن ذلك علوا كبيرا -أن يصدر منه استهزاء، بل المراد منه معاقبتهم ومجازاتهم على استهزائهم، فمعنى الجزاء والعقاب قد تلبس بلفظ الاستهزاء وفيه من التنفير من هذا السلوك النفاقي ما فيه، استهانة بهم وتحقيرا لهم، إذ لا ينبغي لمن يسمع بهذا الجزاء أن ينحى نحوهم، لأنه سيجازى بسنخ جزائهم(٥).

والملاحظ على هذا التحول من لفظ المجازاة إلى لفظ المشاكلة الأول؛ أنه أفاض سيلا من المعاني، وهذا التوسع في الدلالة لا يمكن أن يعطيه لفظ الجزاء الحقيقي وحده، وفي ضوء ذلك نجد أن الطبرسي في تفسيره يعطي عدة وجوه للإستهزاء

(٤) ينظر: الإيضاح ١٩٨.

(٥) ينظر: الكشاف ٤٨ -٤٩.

الآخر (الله يستهزئ بهم) منها مايمثل العقوبة المعنوية ومنها المادية، كالجزاء بالعقوبة، وتجهيلهم، أو استدراجهم للهلكة، والوعيد للمنافقين وغيرها[٦].

وقد فصل ابن عاشور القول في هذا الموضع في تفسيره بقوله: (الله يستهزئ بهم) لم تعطف هاته الجملة على ما قبلها لأنها جملة مستأنفة استئنافا بيانيا جوابا لسؤال مقدر وذلك أن السامع لحكاية قولهم للمؤمنين آمنا، وقولهم لشياطينهم إنا معكم إلخ، يقول: لقد راجت حيلتهم على المسلمين الغافلين عن كيدهم وهل يتفطن متفطن في المسلمين لأحوالهم فيجازيهم على استهزائهم، أو هل يرد لهم ما راموا من المسلمين، ومن الذي يتولى مقابلة صنعهم؟. فكان للاستئناف بقوله (الله يستهزئ بهم) غاية الفخامة والجزالة.

وهو أيضا واقع موقع الاعتراض والأكثر في الاعتراض ترك العطف. وذكر يستهزئ دليل على أن مضمون الجملة مجازاة على استهزائهم. ولأجل اعتبار الاستئناف قدم اسم الله تعالى على الخبر الفعلي. ولم يقل يستهزئ الله بهم؛ لأن مما يجول في خاطر السائل أن يقول: من الذي يتولى مقابلة سوء صنيعهم؟. فأُعلم أن الذي يتولى ذلك رب العزة تعالى. وفي ذلك تنويه بشأن المنتصر لهم... فتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي لإفادة تقوي الحكم لا محالة ثم يفيد مع ذلك قصر المسند على المسند إليه»[٧]، فما بين هذا السبك المحكم لنسيج النص، يلوح للسامع والقارئ معًا هذا التوافق بين الكلمتين (مستهزئون -يستهزئ) على المستوى اللفظي السطحي، إلا أن التحول في دلالة الاختلاف أمر محتوم؛ فلا يستقيم المعنى إلا بهذا التغيير على المستوى العميق.

و من المشاكلة -تحقيقًا -قوله تعالى: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[سورة البقرة: ١٩٤]، في قوله (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه) الإعتداء الأول حقيقي، واستعمل فيما

(٦) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن١/ ٦٧-٦٨.

(٧) التحرير والتنوير ١/ ٢٩٣.

وضع له في أصل اللغة، والآخر يمثل بنية التحول فإنه أراد به صدَ العدوان وردَ الحقوق و صيانة الحدود، لأن الله سبحانه لا يأمر بالعدوان، و إنما سوَّغ ذكره لورود لفظ (اعتدى) الأول، فجاء بما يماثله في الشكل ويخالفه في المضمون. بمعنى «جازوه باعتدائه وقابلوه بمثله، والثاني ليس باعتداء على الحقيقة، ولكن سماه اعتداء؛ لأنه مجازاة اعتداء، وجعله مثله وإن كان ذلك جورا، وهنا عدلا؛ لأنه مثله في الجنس و في مقدار الاستحقاق؛ ولأنه ضرر كما أن ذلك ضرر، فهو مثله في الجنس والمقدار والصفة»[٨]، فهو مشاكلة لاتفاقه في اللفظ ومخالفته في المضمون[٩]، فالقصاص ليس اعتداء وإنما شاكل المذكور قبله لفظيا، للدلالة على المساواة في الجزاء، فهو عدل وليس عدوانا[١٠].

ولا يخفى ما لهذا التحول والعدول عن صد العدوان إلى العدوان نفسه من إلهاب وتحريض، والحث لرد الحقوق وإباء الذل والهوان... إلخ، ولو سطرنا ما سطرنا تحت هذا التحول لاستوعبه لما يقتضيه الحال والمقام، وهذا سر التحول في المشاكلة من الدلالة المعجمية اللفظية إلى الدلالة المغايرة لها.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾[سورة آل عمران: ١٣]، لقد جاءت هذه الآية بعد سياق يتحدث عن خيانة بعض الحواريين للسيد المسيح(عليه السلام)، والتآمر لقتله، بحقد من اليهود. فللتنفير من هذه الخيانة، ولعظم ما دبروا، عدل عن (رد المكر) بـ (مكر الله) لاطلاعه وتكفله برد المكر من حيث لا يشعرون، فحول اللفظ إلى المكر لمشاركة المذكور قبله، على نسق ما سبق من المواضع.

ويشهد المقام والحال بما آل إليه مكرهم، ومباغتة تدبير الله تعالى برد هذا المكر. ولإسناد المكر إليه سبحانه تنويه لعظم قدرته وتدبيره، وأن لامفر منه إلا إليه، ولذا ختم الآية بـ ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرُ

(٨) مجمع البيان في تفسير القرآن ٢/ ٢٨، وينظر: التحرير والتنوير ٢/ ٢١١.
(٩) ينظر: صفوة التفاسير ١/ ١٢٧، و اللغة في الدرس البلاغي ٨٥.
(١٠) ينظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ٩٩، و الميزان في تفسير القرآن ٢/ ٥٣.

﴿ ٱلْمَكِرِينَ ﴾، من حيث لا يشعر الماكر ولا يستطيع النجاة مما سيحل فيه[11].

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[سورة التوبة: ٦٧]، قوله (نسوا الله فنسيهم) شاكل اللفظ الآخر (نسيهم) اللفظ الأول، بعد ما تقدم من ذكر صفاتهم السيئة؛ لأمرهم بالمنكر ونهيهم عن المعروف، وبخلهم، ولهوهم، ونسيانهم أمر الله، فهم «تركوا طاعته فتركهم في النار، وترك رحمتهم وإثابتهم»[12]، فالتحول هنا يتمثل بـ (نسيهم) أي: حرمهم من رحمته، أو من الثواب، أو تركهم يتقلبون في العذاب، أو إذلالهم. فاتسعت المشاكلة هنا لهذه الدلالات بسبب هذا العدول، والتحول عن لفظ الجزاء لمشاكلة اللفظ السابق، فقد سئل الإمام الرضا عليه السلام عن قول الله تعالى ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ فقال: "إن الله لايسهو ولا ينسى، وإنما ينسى ويسهو المخلوق والمحدث، ألا تسمعه -عز وجل- يقول: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [سورة مريم: ٦٤]، وإنما يجازي من نسيه ونسى لقاء يومه بأن ينسيهم أنفسهم، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [سورة الحشر: ١٩]، وقال عز وجل: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا ﴾[سورة الأعراف: ٥١]، أي نتركهم؛ كما تركوا الاستعداد للقاء يومهم هذا"[13]، فإحالات الإمام الرضا عليه السلام إلى النظائر لهذا الموضع يدعم مسوغ التحول بمعنى اللفظ الآخر في المشاكلة من المعنى الوضعي للفظ إلى المجازي في الجزاء والإهانة.

ومثله قوله تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة الشورى: ٤٠]، يبدو أن اللفظ الأول من هذه المشاكلة قد

(١١) ينظر: الكشاف ١٧٤، والأمثل ٢/ ٥١٤-٥١٦، و سورة إبراهيم ٤٦، وسورة النمل ٥٠، والبديع في ضوء أساليب القرآن الكريم ٧٩.

(١٢) مجمع البيان في تفسير القران ٥/ ٦٦.

(١٣) تفسير كنز الدقائق ٥/ ٤٩٩، وينظر: سورة السجدة ١٤، و سورة الجاثية ٣٤.

ورد على الحقيقة، أما اللفظ الآخر (سيئةٌ) فهي بمعنى الجزاء، وإنما حول الجزاء إلى سيئة ليشاكل المذكور قبلها، لوقوعه في صحبة السيئة الأولى الحقيقية، ولو أن اللفظ (سيئة) الآخر فيه دلالة ما يسوء مقترف السيئة الأولى، فهي تعد سيئة من جهة حال المذنب، وهي جزاء وعقاب من جهة المظلوم –من وقعت عليه آثار السيئة الأولى –ويستشف من هذه المشاكلة أن الانحياز إلى العفو أقوى من الجزاء؛ لأنه–أي الجزاء –جاء بلفظ السيئة للتنفير منه، ولعل سائل يسأل ولماذا لم نقل مثل ذلك عما جاء في: (مكر الله، وخادعهم، ونسيهم،...)؟. الجواب: أن مقام الحال يمنع وقوع المعنى الحقيقي، فالله تعالى منزه عن هذه النقائص –تعالى شأنه –في حين أن دلالة الآية التي نحن بصددها تعنى بجزاء البشر للبشر، وقد يقع في هذا الجزاء شيء من حيف أو زيادة أو تسرع في حكم أو... ، ليس كجزاء الله تعالى، لقد جاءت المشاكلة هنا عندما أُمِن اللبس على المتلقي لتباين المقام والحال بين طرفي المشاكلة، فخرجت اللفظة عن دلالتها المعجمية؛ لتتسع للدلالات الموحية المجازية، على ما يستدعيه الحال والمقام.

بقي لنا أن نمثل للمشاكلة من الضرب التقديري؛ التي وردت في قوله تعالى: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾[سورة البقرة: ١٣٨]، وفي ذلك قال ابن عاشور «قوله ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ رد على اليهود والنصارى معا، أما اليهود فلأن الصبغة نشأت فيهم، وأما النصارى فلأنها سنة مستمرة فيهم، ولما كانت المعمودية مشروعة لهم لغلبة تأثير المحسوسات على عقائدهم رد عليهم بأن صبغة الإسلام الاعتقاد والعمل المشار إليهما بقوله ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ إلى قوله ﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ أي إن كان إيمانكم حاصلا بصبغة القسيس فإيماننا بصبغ الله وتلوينه أي تكييفه الإيمان في الفطرة مع إرشاده اليه»[١٤]، يتبين من تفسير ابن عاشور وبيانه لمشاكلة (صبغة الله) لـ (صبغة المعمودية) هو سعة الدلالات التي طرحها، فبدل أن يقال (دين الله)

(١٤) التحرير والتنوير١/ ٧٤٤، وينظر: تفسير جوامع الجامع ١/ ١٥٦ –١٥٧.

أو (الإسلام)[١٥] أو (العمل الصالح) أو (الاعتقاد الصحيح)... إلخ؛ كلها دلالات تتلاءم مع السياق والمقام، تولدت بسبب هذا التحول بلفظ المشاكلة.

وفي ضوء ما سبق ذكره؛ تبين دور التحول في السياق لأسلوب المشاكلة من اللفظ الصريح إلى اللفظ المشاكل، في زيادة المعنى، وشد انتباه المتلقي، لجمال الصياغة والحبكة، والهالة الجديدة التي لبسها السياق في المشاكلة، وأستطيع القول-على ما تم بيانه -: أن مقدار ما ينتجه هذا التحول في الأسلوب من دلالات، هو بحسب الموضوع والمقام والحال، بين موضع وآخر.

القسم الآخر:

التحول في الأسلوب الحكيم:

الحكيم لغة: «يقال لمن يحكم الأشياء ويتقنها، ويحسن دقائق الصناعات ويتقنها»[١٦]، ويشير المعنى اللغوي إلى اتقان الشيء بحسن الصناعة، وفيما نحن بصدده؛ فهو حسن الصياغة ونظم الكلام، بما يناسب الحال والمقام.

وفي الاصطلاح: تلقي المخاطب بغير ما يترقبه، بحمل كلامه على خلاف مراده، تنبيها على أنه الأولى بالقصد، أو السائل بغير ما يتطلب، بتنزيل سؤاله بمنزلة غيره، تنبيها على أنه الأولى بحاله أو المهم له[١٧].

وقد أورد أهل البلاغة مثالا له وهو: أن رجلا سأل أحد المقبلين من جهة حلبة سباق الخيول: «من سبق؟. قال: سبق المقربون. قال: أنا أسألك عن الخيل!. قال: وأنا أجبتك عن الخير. فترك المجيب جواب لفظه إلى خبر هو أنفع له»[١٨].

فهذا التحول بإجابة أخرى غير الإجابة عن مقصد السؤال تحيل ذهن السائل إلى مقاصد هي أولى من مقصده وأنفع له، فإحالته إلى سبق المقربين؛ كأنها إحالة إلى ذكرهم في القرآن الكريم في سورة الواقعة عندما أولاهم الله تعالى بذكره حتى على ذكر أصحاب اليمين، وإجابته عن السؤال الآخر بالخير عن الخيل،

(١٥) تفسير نور الثقلين ١/ ١٢٨.
(١٦) لسان العرب مادة (حكم).
(١٧) ينظر: مفتاح العلوم ٣٢٧ -٣٢٨، وعلم البديع للمراغي ١٠٦ -١٠٧.
(١٨) علم البديع للمراغي ١٠٦ -١٠٧.

على ما فيه من الجناس البديع، هي إحالة أخرى لصرف همة السائل عن مقصده إلى ما هو أفضل له، و أجزل عند الله تعالى. و كأنه أحاله إلى أن الخير -المعقود بنواصي الخيل المشار إليه في المأثور[19] -هو غير اللّهو و اللّعب، و إنما هو الجد و الإجتهاد لما فيه النفع الخاص و العام.

و تبين من هذا المثال دقة هذا الأسلوب، في لطافة المجيب بصرف همة السائل عن مقصده إلى مقصد هو أولى له به ببراعة، على ما يحوي من ردع و نصح و كف عن الفضول، بحكمة.

و للأسلوب الحكيم ضربان على ما أشار إليهما القزويني، فالأول: «أن تقع صفه كلام الغير كناية عن شيء أثبت له حكم فثبت في كلامك تلك الصفه لغير ذلك الشيء من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم له أو انتفائه عنه.. .

و الآخر.. حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه»[20].

و من الأول قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾[سورة البقرة: ٢٦ -٢٧].

لبيان هذا الموضع نتتبع قول أبن عاشور في «إن علم المؤمنين أنه الحق من ربهم هدى، و قول الكافرين ماذا أراد الله إلخ ضلال، و الأظهر أن لا يكون قوله (يضل به كثيرًا و يهدي به كثيرًا) جوابًا للأستفهام في قول الذين كفروا (ماذا أراد الله بهذا مثلًا) لأن ذلك ليس استفهامًا حقيقيًا كما تقدم. و يجوز أن يجعل جوابًا عن استفهامهم تخريجًا للكلام على الأسلوب الحكيم، بحمل استفهامهم على ظاهره تنبيهًا عليأن اللائق بهم أن يسألوا عن حكمة ما أراد الله بتلك الأمثال

(١٩) ينظر: كنز العمال ٤/ ٣٢.
(٢٠) الإيضاح ٢١٥.

فيكون قوله (يضل به كثيرًا و يهدي به كثيرًا) جوابًا لهم و ردًا عليهم و بيانًا لحال المؤمنين، و هذا لا ينافي كون الاستفهام الذي قبله مكنى به عن الانكار... من عدم المانع من جمع المعنيين الكنائي و الأصلي»[٢١].

فإذا علِمنا أن بنية الاستفهام تتجه من الخارج الى الذهن[٢٢]، فإنه إن كان من مُستَعلِم (خالي الذهن) الى مُستَعلم (عالم) فهو في الأغلب يكون حقيقيًا، بمراعاة السياق ومقام الأحوال، وإن كان من (عالم) إلى من هو أدنى منه علما فهو على الأغلب يكون مجازيا بمراعاة السياق ومقام الأحوال.

ومن هنا يلاحظ استفهام هؤلاء الكفار أنه أقرب إلى الحقيقي من المجازي؛ لأن في ذكر البعوضة وما شابهها -عند المنكرين ومن هو في مقامهم -يعد غنيمة من وجهة نظرهم؛ فينظرون إلى أنه استفهام إنكاري ممزوج بإرادتهم لبيان الفائدة من ذكر هذا المثل. فلسخف عقولهم، ولعدم يقينهم بأن للخالق تبارك وتعالى مقاصد لا تخطر على بالهم؛ استفهموا هنا بقولهم (ماذا أراد الله بهذا مثلا)؟.

لذلك جاء الرد الحكيم أن العلة من ذكره -فضلا عن الإعجاز فيه -ليمتلئ المضل ضلالا، وليزداد المهتدي هدى، ثم حصرهم بالفسق وبين علة ذلك لنقضهم العهود وقطعهم ما أمر الله بوصله، ولفسادهم في الأرض، ونتيجة ذلك الخسران.

فهم أرادوا بيان فائدة ذكر هذا المثل، وأتاهم الجواب بغير ما يتوقعون، ولا يشتهون مما وسمهم به من سوء.

لا بد أن التحول في هذا الجواب قد أنساهم ما سألوا عنه، سواء أكانوا مستخفين، أم منكرين، أم قاصدين فَهْم الفائدة مع عنادهم، فقد أخرسهم بيان القرآن لما هم فيه من ضلال وبهتان، ولما فيهم من خصال سوء. واللطيف من ابن عاشور أنه لم يمانع من الجمع بين المعنيين المجازي والحقيقي.

ومن الضرب الأول أيضا قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ

(٢١) التحرير والتنوير ١/ ٣٦٥.
(٢٢) ينظر البلاغة العربية قرآءة أخرى ٢٨٥.

لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[سورة البقرة: ١٨٩]، قال الصابوني: «هذا النوع من البديع يسمى (الأسلوب الحكيم)، فقد سألوا الرسول ﷺ عن الهلال لم يبدو صغيرا ثم يزداد حتى يتكامل نوره؟. فصرفهم إلى بيان الحكمة من الأهلة وكأنه يقول: كان الأولى بكم أن تسألوا عن حكمة خلق الأهلة لا عن سبب تزايدها في أول الشهر و تناقصها في آخره، و هذا ما يسميه علماء البلاغة (الأسلوب الحكيم)»[٢٣].

يبدو من تبني الصابوني لهذا التفسير؛ أن بنية التحول المتمثلة بالجواب عن سؤال السائل قد غايرت مقصد الأخير، وعبر عنها بقول المفسر (كان الأولى بكم أن تسألوا عن حكمة خلق الأهلة لا عن سبب تزايدها)؛ لأن تكليفهم يقتضي هذا التحول في الإجابة عن مقصدهم، لما فيه صلاحهم و تنبيها لهم للتمسك بشعائرهم وإدارة حياتهم وضبط حدودهم الشرعية وغيرها. حتى أن السياق انفتح على أكثر من ذلك، وهو التقوى، فإن صلاح الذات يؤدي إلى صلاح الأمور كلها، فسعة الدلالة هنا جاءت بفضل هذا التحول في الأسلوب الحكيم.

لقد رد الطاهر بن عاشور هذا الإتجاه من التفسير بتضعيف ما جاء في سبب نزول الآية، ولقد شمل تنبيهه هذا رد الأسلوب الحكيم في المواضع المتتالية في سورة البقرة لطائفة من الأحكام المفتتحة بجملة (يسألونك) وهي ستة أحكام[٢٤]، بقوله: «والسؤال عن الأهلة لا يتعلق بذواتها إذ الذوات لايسأل إلا عن أحوالها، فيُعلم هنا تقدير وحذف أي عن أحوال الأهلة، فعلى تقدير كون السائل واقعا بها غير مفروض فهو يحتمل السؤال عن الحكمة ويحتمل السؤال عن السبب فإن كان عن الحكمة فالجواب بقوله (قل هي مواقيت للناس) جار على وفق السؤال، وإلى هذا ذهب صاحب الكشاف، ولعل

(٢٣) صفوة التفاسير ١/ ١٢٧.

(٢٤) المواضع هي: سورة البقرة ١٨٩، ٢١٥، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٢.

المقصود من السؤال حينئذ استثبات كون المراد الشرعي منها موافقا لما اصطلحوا عليه، لأن كونها مواقيت ليس مما يخفى حتى يسأل عنه، فإنه متعارف لهم، فيتعين كون المراد من سؤالهم إن كان واقعا هو تحقيق الموافقة للمقصد الشرعي، وإن كان السؤال عن السبب فالجواب بقوله (قل هي مواقيت) غير مطابق للسؤال، فيكون إخراجا للكلام على خلاف مقتضى الظاهر بصرف السائل إلى غير ما يتطلب، تنبيها على أن ما صرف إليه هو المهم له»[٢٥].

ويلاحظ هنا أنه لم يقطع الأمر بمجازية الجواب في الأسلوب الحكيم، وإن كان على مقصد السائل فهو جواب إخباري لبيان موارد السؤال.

في حين رد السيد الطباطبائي الأسلوب الحكيم هنا بشكل قطعي بقوله في أن: «إتيان الهلال بصورة الجمع حيث قال ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ دليل على أن السؤال لم يكن عن ماهية القمر واختلاف تشكلاته، إذ لو كان كذلك لكان الأنسب أن يقال: يسألونك عن القمر لا عن الأهلة، وأيضا لو كان السؤال عن حقيقة الهلال وسبب تشكله الخاص كان الأنسب أن يقال: يسألونك عن الهلال إذ لا غرض حينئذ يتعلق بالجمع، ففي إتيان الأهلة بصيغة الجمع دلالة على أن السؤال إنما كان عن السبب أو الفائدة في ظهور القمر هلالا بعد هلال ورسمه الشهور القمرية، وعبر عن ذلك بالأهلة لأنها هي المحققة لذلك فأجيب بالفائدة»[٢٦].

والحقيقة أن ما عرضه السيد الطباطبائي معتد به، إلا أنه يحتاج إلى اليقين بأن مراد السائل هو هذا، وهذا ليس متيسرا؛ فعلمه عند الله تعالى، ورسوله ومن اصطفاهم لسره.

وكان الغرض من عرض هذه الآراء المتعددة في شأن هذه الآية، هو أهمية تحديد حال السائل وفهمه، وما يؤديه ذلك إلى تشخيص دلالة السياق حينئذ.

مع العلم إن السيد الطباطبائي لم يعن بهذا اللون البديعي ولم يذكره على طوال تفسيره، حتى في هذا النص المقتبس الذي نحن بصدده، فلم يذكر الأسلوب الحكيم

(٢٥) التحرير والتنوير ٢/ ١٩٤ -١٩٥.

(٢٦) الميزان في تفسير القرآن ٢/ ٤٧.

قط، شأنه في ذلك شأن كثير من المفسرين، إلا أن الطاهر بن عاشور اعتنى بهذا اللون البديعي في كثير من المواضع على طوال تفسيره، ولذا يرى القارئ الكريم عدة نصوص له، كانت له البراعة في توجيهها الدلالي، محددا فيها هذا الأسلوب بدقة.

ومنه قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[سورة المنافقون: ٨]، تحكي الآية قول عبد الله بن سلول لأهل النفاق، إذ «أراد بـ (الأعز) فريق الأنصار؛ فإنهم أهل المدينة، وأهل الأموال، وهم أكثر عددا من المهاجرين فأراد ليخرجن الأنصار من مدينتهم من جاءها من المهاجرين.

وقد أبطل الله كلامهم بقوله ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وهو جواب بالطريقة التي تسمى القول بالموجب»[٢٧]، لقد جاء التحول في الأسلوب الحكيم بإثبات لفظ (العزة) لله ورسوله والمؤمنين إذ هم أهل البقاء في المدينة، على غير ما قصد به المتكلم من وسم الأنصار من أهلها بها، فقد وسموا المهاجرين بـ (الأذلة) الذين يجب إخراجهم منها، في حين لم يصرح السياق هنا بإخراج أحد أو إدخاله، بل يلمح من حصر العزة لله والرسول والذين آمنوا به حقا، فعُلِم من ذلك أن الذين يجب إخراجهم هم المنافقون أصحاب القول أنفسهم. فهذه السعة في الدلالة تولدت بسبب هذا التحول في الأسلوب الحكيم، ويبدو أن وظيفته هو تعديل المفهوم وتحويل المقصد الذي هَمَّ به المنافقون. ولقد نحى الطاهر بن عاشور هنا منحى أهل البلاغة القدماء في تسمية الأسلوب الحكيم بالقول بالموجب، لما يتولد منه في هذا السياق من إثبات الوصف الإيجابي لأهله، وترك المواجهة المباشرة لإثبات الصفة السلبية لأهلها[٢٨]، احترازا من

(٢٧) التحرير والتنوير ٢٨/ ٢٤٩.

(٢٨) ينظر: تحرير التحبير ٥٩٩، وللمزيد ينظر السور: المائدة٤، الأعراف ٨، ١٨٧، التوبة ٦١، ١٢٤، يونس ٥٠ -٥١، ٥٣، الرعد -٣١، الحجر٨، الإسراء ٥٠ -٥١، الكهف ١٩، مريم ٢١، ٧٨، الأنبياء ٥٥، النمل ٤٦، ٧١ -٧٢، السجدة ٢٨ -٢٩، سبأ٢٩ -٣٠، يس ٤٨ -٥٠، ٧٨ -٧٩،

أن لا يتحقق المقصد من هذا التحويل والتعديل، لأنه الأولى في هذه المرحلة.

ومن الضرب الآخر: أي في حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه، أي بخلاف ما يقصده السائل، وتنبيهه على أن المحوّل في الأسلوب الحكيم هو الأولى، فقد أورد صاحب الإيضاح مثالا له تحت عنوان القول بالموجب وهو:

قلتُ ثَقَّلتُ إذ أتيتُ مِرارا

قال ثَقَّلتَ كاهلي بالأيادي

قلت طولتُ قال بل قد تطولتَ

وأبرمتُ قال حبلَ ودادي[29]

فمقصد الشاعر أنه يعتذر لما تسببه من حرج على المزور بالإثقال عليه، فرده أنه هو المثقل لسابق كرم الزائر، وكنى عن ذلك بالأيادي أي بكثرة الكرم، وقال الزائر لقد طولت، وأبرمت من الملل فرد المزور بدل طولت بتطولت أي إنك أنت الكريم الذي يجب شكره، وبدل أبرمت أي أشعرتكم بالملل، ببرم حبل المودة من فتل الحبل وحياكته ليكون أقوى مما كان عليه. فالقارئ الكريم يشعر بلذة ولطافة هذا اللون البديعي؛ بسبب تلطف قائله ونباهته لما يحيل إليه من معاني ودلالات بديلة عن المذكورة من السائل أو المتكلم بأدب وتواضع.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[سورة التوبة: ٦١]، تحكي هذه الآية قصد المنافقين أذية النبي الكريم ﷺ بوسمه بـ(أذن) أي سماعا للغير، في حين جاء الرد القرآني بتحويل دلالة اللفظة نفسها؛ بإضافتها إلى خير «والمعنى -في الإضافة -مستمع خير لكم وصلاح ومصغ إليه، لا مستمع شر وفساد»[30]، وزيادة على هذه المعاني ما توحيه لفظة

الصافات ١٦ -١٧، غافر١٠، فصلت ١٦-١٧، الزخرف ٦٦، الذاريات ٣١، الملك ٢٥ -٢٦، المعارج ١ -٣، ٣٨، المدثر ٣٠، القيامة ٧ -١٣، النازعات٤٢ -٤٥، ٤٦، الكوثر٣.

(٢٩) ينظر الإيضاح ٢١٥.

(٣٠) تفسير التبيان ٥/ ٢٤٨.

(رحمة) إلى قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[٣١]، فضلا عن إصغائه للوحي، وعمله بالحق فيما يسمع من غيره، ويصدق المؤمنين[٣٢]، لقد أفاضت جملة (أذن خير) هذه الدلالات وفيها مزيد مما يعلي شأن الرسول الكريم ﷺ، فهذه سمة التحويل في الأسلوب الحكيم. ثم بعد ذلك جاء بالوعيد بالنار والعذاب الأليم لمن يعترض الحبيب ﷺ، وبسبب لطافة هذا التحويل إن لفظة (أذن) الأولى طغت عليها دلالة (أذن خير) بعد ذكر اللفظة نفسها مرة أخرى مقرونة بخير، فلم يعد من شيء بيد المعترض سوى ستر عيوبه ولا يتسنى لـه ذلك؛ لما بين الله تعالى من مقصد سوء منهم مشفوعا بأقسى أنواع الوعيد لهم جزاء قولهم هذا.

ومنه أيضا قوله تعالى ﴿ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ١٠ قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾[٣٣]، في هذه المحاجة يقدم المعترضون على رسلهم في خطابهم هذا مانعا لدعوى النبوة وهو (إن أنتم إلا بشر مثلنا) معترضين عليهم بـ (تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا) ثم صرحوا بطلب الدليل بقولهم (فأتوا بسلطان مبين)، هنا يأتي الأسلوب الحكيم ليفك عقدة التكذيب والوهم، بأن يتسلل إلى نفوسهم بنعم (إن نحن إلا بشر مثلكم) مقابل ما يتلبس بعبارة مانعي دعوى الرسل من إنكار، ليوضحوا لهم بـ « أن المماثلة في البشرية لا توجب المماثلة في جميع الكمالات الصورية والمعنوية الإنسانية كما أن اعتدال الخلقة وجمال الهيأة وكذا رزانة العقل وإصابة الرأي والفهم والذكاء وكمالات صورية معنوية توجد في بعض أفراد الإنسان دون بعض، فمن الجائز أن ينعم الله بالوحي والرسالة على بعض عباده دون بعض فإن الله يمن

(٣١) المصدر نفسه ٥/ ٢٤٧.

(٣٢) [سورة الأنبياء: ١٠٧].

(٣٣) ينظر: تفسير التبيان٥/ ٢٤٧ -٢٤٨.

على من يشاء منهم»[٣٤]، وهذا التحول يعد بمثابة «تمهيد لبيان غلط المستدل في الاستنتاج من دليله. ومحل البيان هو الاستدراك في قوله ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾... فالاستدراك رفع لما توهموه من كون المماثلة في البشرية مقتضى الاستواء في كل خصلة»[٣٥]، إن هذا التمهيد الذي أشار إليه ابن عاشور لم يتخلل سياقه أساليب ردع لفظية كالإستفهام أو التعجب والإنكار وغيرها بل جاء على شكل «تقرير لمقالتهم فهم يقبلون عليهم بالجواب لأنهم لم يبطلوا كلامهم بالإطلاق بل يقرونه ويزيدون فيه»[٣٦].

ولولا أمثال هذه الأساليب لما آمن كافر، وتنبه غافل وتيقن شاك، واطمأن مضطرب. ولذا سمي بالأسلوب الحكيم لأنه يعرض في السياق عن المواجهة والشدة بادئ الأمر؛ لأجل إقبال المعارض وهدايته، وهو أمر يستحق ذلك، لتفادي المواجهة والعنف، والإصرار على الإنحراف.

ولو قلبنا المواضع السابقة في الأسلوب الحكيم لرأينا أن الطرف السائل إما مشرك، أو كافر أو منافق، أو جاهل، أو متوهم. وهذه الأطراف كلها تعد منشأ للانحراف المجتمعي، تصدى لها البيان القرآني بالأسلوب الحكيم، بحسب ما يتطلبه الموضوع المستفهم عنه، ومقام الأحوال.

الخاتمة:

بعد هذه السياحة في علم البديع مع أسلوبين من أساليبه: أسلوب المشاكلة، والأسلوب الحكيم، كان للتحول في سياقيهما الأثر الواضح:

- في أسلوب المشاكلة: تمثل التحول بمجيء لفظة بعد أخرى تشبهها في البنية السطحية (التشابه اللفظي)، إلا أنها تخالف الأولى في بنية العمق (في المعنى)، وبعد النظر إلى السياق وإلى الموضوع والمقام وحال السائل؛ تبدو السعة الدلالية، ووفرة المعاني، وذلك من نتاج التحول في ضربي المشاكلة،

(٣٤) [سورة إبراهيم: ١٠ -١١].
(٣٥) الميزان في تفسير القران١٢/ ٢٦.
(٣٦) التحرير والتنوير ١٣/ ٢٠١.

لفك قيد انحصار الدلالة، لتنطلق إلى أبعاد لم تخطر على بال السائل.

- في الأسلوب الحكيم: تمثل التحول بالجواب عن سؤال، بغير ما يقصده السائل، لتنبيهه إلى مقاصد هي أولى له بالسؤال عنها، فبرزت وظيفة التحول في ضربي الأسلوب الحكيم؛ بالإنتاج الدلالي الواسع، إذ أخذ على عاتقه تعديل مقاصد السائلين، مع ترك التعريض بهم، لضمان حسن الاستجابة، في أجواء إيجابية، ولذا كانت أطراف الخطاب- أعني السائلين -ممن يجب تعديل مقاصدهم؛ لضمان عدم شيوعها على ما فيها في المجتمع، مقرونة بأساليب أخرى، كالوعد والوعيد، على ما ورد في متن هذا البحث.

المستخلص:

كشفت هذه الدراسة عن الجامع لأسلوبي المشاكلة والأسلوب الحكيم، وهو التحول الذي يتخلل بنية السياق فيهما. لتعديل المعنى إلى آخر لم يلتفت إليه السائل.

- في أسلوب المشاكلة -بضربيها -عمل التحول في إيراد لفظ آخر مشاكل للمذكور الأول قبله لفظيا، مخالفا له في المعنى، بإضافة منتوج دلالي واسع غير ما وضع له في أصل اللغة، ليستدل عليه المتلقي من السياق ومقامات الأحوال.
- في الأسلوب الحكيم -بضربيه -عمل التحول بتنبيه السائل إلى مقصد هو أولى له من مقصده المطروح في سؤاله، لأهميته، وترك التعرض له، لإثبات المقصد المُعَدَّل، بحكمة، لما فيه منفعته، أيضا بإنتاج دلالي واسع مغاير لمراده.

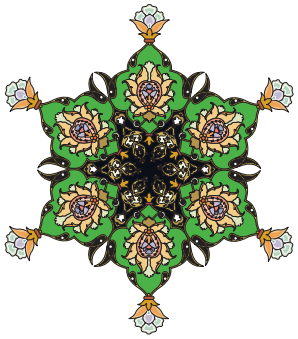

أهم المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

- الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، مختصر تلخيص المفتاح: تأليف: الخطيب القزويني (ت ٧٣٩ هـ)، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، د. ط، ١٣٩٠هـ-١٩٧١م.
- البديع في ضوء أساليب القرآن الكريم: د. عبد الفتاح لاشين، الطبع والنشر في دار الفكر العربي، القاهرة-مصر، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١ م.
- البلاغة العربية قراءة أخرى، د. محمد عبد المطلب، دار نوبار للطباعة-القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان، ط١، ١٩٩٧م.
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: لابن أبي الإصبع المصري (٥٨٥ -٦٥٤ هـ)، تقديم وتحقيق: د. حفني محمد شرف، د. ط، القاهرة-مصر، ١٣٨٣ هـ-١٩٦٤م.
- التحرير والتنوير: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، د. ط، د. ت.
- تفسير التبيان، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، قدم له الشيخ أغا بزرك الطهراني، تصحيح: أحمد حبيب العاملي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، د. ت.
- تفسير جوامع الجامع، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤١٨هـ.
- تفسير صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني (ت١٤٣٦هـ -٢٠١٥م)، دار الصابوني، للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، ط٩، د.ت.
- تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، محمد بن محمد رضا القمي المهدي (ق١٢هـ)، تحقيق: حسين دركاهي،

دار الغدير للطباعة والنشر، قم، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

- تفسير نور الثقلين: الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، تصحيح: هاشم الرسولي، الناشر: انتشارات إسماعيليان، ط١، د. ت.
- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني، والخطابي، وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، الناشر: دار المعارف بمصر، ط٢، ١٣٨٧هـ-١٩٦٨م.
- علم البديع، د. محمد أحمد حسن المراغي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت -لبنان، ط ٢، ١٩٩٩م.
- الكشاف: لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي(٤٦٧-٥٣٨ هـ)، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط٣، ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م. (طبعة حديثة جامعة للأجزاء كلها في مجلد واحد).
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهندي: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين (ت ٩٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ بكري حياني، الشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت-شارع سوريا، د. ط، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- لسان العرب: لابن منظور (٦٣٠-٧١١ هـ)، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التأريخ العربي، بيروت-لبنان، د. ط، د. ت.
- اللغة في الدرس البلاغي، أ. د. عدنان عبد الكريم جمعة، الناشر: دار السياب (لندن)، دار اليقظة الفكرية (سوريا)، ط١، ٢٠٠٨م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، دار المرتضى، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، د. سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت -لبنان، ط١، ١٩٨٥م.